المنهج التأريخي:

ظهر هذا المنهج تاريخيا في أوربا في القرن الثامن عشر، لكنه نما واتضح وجوده تطبيقيا في الدرس الأدبي في القرن التاسع عشر. ومن أعلامه لانسون و سانت بيف، وتين .

يقوم المنهج التاريخي في النقد الأدبي على المبادئ التالية :

1. اعتبار النص الأدبي وثيقة لمحيطه والربط الآلي بينهما .

2. التدقيق على الأعمال الأدبية و النصوص التي تمثل مرحلة تاريخية يتم دراستها, و إضافة لذلك الاهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة.

3.البحث في تاريخ الأمة السياسي و الاجتماعي، لفهم الأدب وتفسيره و دراسة مراحل نموه و تطوره، ولفهم كل الطرق التي يسلكها الأدباء في الأدب .

4. الدراسة التاريخية للكتاب تبين لنا الأوضاع السياسية و الدينية والاجتماعية ، فمن خلالها نستطيع تحديد أن هذا الكتاب حقا نتيجة بيئته ،و ذلك لأن النص هو ثمرة كاتبه و الأديب نتاج ثقافته .

المهمة الأساسية للمنهج التاريخي أن يقوم برحلة عكسية لفعل التاريخ، محاولا استرداد ما حصل في التاريخ في محاولة لغرض الفهم. مستثمرا العقل والمخيلة لتصوّر لنا ما حدث. والمنهج التاريخي يتعامل مع سياق تاريخي خارج النص، بأن يضع النص في تسلسله التاريخي وفهمه في ضوء هذا التصوّر. وهذا المنهج ظهر في القرن التاسع عشر، وهو من أقدم المناهج النقدية السياقية في العصر الحديث. وهو من بوادر تحسس البعد العلمي وأهميته في الدرس النقدي.

وقد نما عند سانت بيف (ت 1869م) الذي اهتدى إلى أهمية درس الأدب في ضوء العناصر الثلاثة الآتية: الجنس والبيئة والعصر. وفي ضوء هذا درس بعض الأدباء مستفيدا من مختلف المعلومات المتوفرة عنهم وعن أسرهم وبيئتهم وواقعهم الاجتماعي وتكوينهم الجسماني والنفسي والعقلي، وعاداتهم وتقاليد مجتمعهم.. والأدباء أصبحوا لديه على هيئة فصائل كفصائل الحيوانات والنباتات، فهي تتأثر بمختلف العوامل والمؤثرات المحيطة.

وجاء بعده تلميذه هيبوليت تين / H.Taine(1828–1893) ، الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الشهير الذي درس النصوص الأدبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة :

1– العرق أو الجنس (Race)؛ بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

2 – البيئة ، أو المكان أو الوسط ، (Milieu)؛ بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

3 – الزمان أو العصر(Temps)؛ أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.

في محاولة لإخضاع البحث في الأدب ونقده إلى أسس ومعايير ((علمية)) لذا وجد أن الإبداع في الأدب يعود إلى عناصر معيّنة، ومن خلال فهم هذه العناصر يمكن فهم الأدب وتحديد العوامل التي أدّت إلى ازدهاره إن كان مزدهرا أو تراجعه إن كان متراجعا. وبذلك يكون تين قد أسقط الفروقات الفردية بين الأدباء وهذه مشكلة حقيقية. إذ أصبح لديه – كما هو شأن أستاذه سانت بيف– مجموعة من العوامل المشتركة الحاكمة التي تحكم الأدب والأدباء في عصر من العصور وأمة من الأمم وهم لا يخرجون عن هذا السياق. وقد كتب كتابا في الأدب الانكليزي في ضوء هذه الرؤية.

والباحث الآخر هو رينان (ت1892م) الذي ركّز على مسألة الجنس، وتصوّر بأن الجنس السامي ينقصه الخيال والفلسفة على عكس الجنس الآري.

فرديناند برونتيار / F. Brunetière(1849–1906) ، الناقد الفرنسي الذي آمن بنظرية (التطور) لدى داروين (1809–1906) ، وأنفق جهودا معتبرة في تطبيقها على الأدب ، متمثلا الأنواع الأدبية كائنات عضوية متطورة ، فكما تطور القرد إلى إنسان ، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر وقد ألف كتابه (تطور الأنواع الأدبية) سنة 1890 ، على غرار كتاب (أصل الأنواع) لداروين؛ حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية ، وأنها تنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلاشى وتنقرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية.

غستاف لانسون / Gustave Lonson (1857-1934) ، ويعد هذا الأكاديمي الفرنسي الكبير الرائد الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه (اللانسونية :Lonsonnisme) ، وقد أعلن لانسون عن هويته المنهجية سنة 1909 ، في محاضرة بجامعة بروكسل حول (الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب) ، ثم أتبعها سنة 1910 بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) التي نشرها في مجلة الشهر (Revue du moi) ، وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي، حتى غدت تلك المقالة "قانون اللانسونية ودستورها المتبع" على حد تعبير أحد الدارسين.

ثم واصل هذا النشاط "الانسوني" أكاديمي فرنسي آخر هو ريمون بيكار (Rymond Picard) الذي دخل في معارك نقدية ضارية مع عميد النقد الفرنسي الجديد رولان بارت / R. Barthes (1915-1980)، انتهت بالإطاحة بالمنهج التاريخي.

وفي هذا المنهج تتعدد اهتمامات الدارسين، لكنها تبقى في مجال دراسة سيرة صاحب النص تاريخيا، وربطها بطبيعة النص. وهذه العناية تتسع لفحص أسرة الأديب ونوع تربيته وطبيعة علاقاته وأفكاره ومعتقداته وطبيعة عصره، من رقي أو انحطاط... مثلما عنى بعض المشتغلين – مثل تين – بهذا النقد بطبيعة الأمة التي ينتمي إليها الأديب صاحب النص المدروس، وطبيعة الخصائص المشتركة بين الأديب وثقافة أمته وخصائصها في ذلك العصر الذي عاش فيه.

ويؤمن هذا التوجه في الدرس بضرورة جمع أكبر عدد ممكن من الوثائق عن الأديب وعصره...للمساعدة في فهم النص الأدبي. وهو أيضا يجد أن عنصر المقارنة بين الأدباء وأدبهم أمرا مفيدا ومساعدا على الفهم. فبمقارنة النصوص الأدبية يمكن أن نشخص الأصيل من المزيف، وأن نكتشف السمات العامة للسائد في أدب ذلك العصر.

ومن منزلقات هذا النوع من الدرس أنّه يحوّل النص الأدبي إلى وثيقة تاريخية، وكأنه ليس أدبا مُشبعا بالخيال ومعتمدا على المجاز. وهنا قد تضيع أدبية الأدب .

ولكن مهما تكن طبيعة النتائج التي توصل إليها المنهج التاريخي والمؤاخذات المسجلة عليه إلا أنه يبقى محطة مهمة من محطات تاريخ الدرس الأدبي، في رحلته ومحاولته للتخلص من العشوائية في النقد وعدم الاستناد الى حيثيات معينة.

أما بذوره العربية فنجدها في كتاب "طبقات فحول الشعراء" عند " ابن سلام الجمحي" حيث بنى فكرته على تقسيم الشعراء إلى طبقات على أساس مراعاة البيئة والزمن. وهو أول من قام بمحاولة جادة ، تمثلت في جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد الأدبي وتنظيمها تنظيماً علمياً في كتابه، الذي يعدّ خلاصة ما قيل إلى عهده في اشعار الجاهليين و الإسلاميين. وبهذا الكتاب وضع اللبنة الأولى في بناء النقد العربي وتوسيع مجاله، وتفتيح آفاق جديدة فيه.

وفي العصر الحديث يّعد الدكتور طه حسين من أوائل الدارسين العرب الذي أفادوا من المنهج التاريخي في درسهم للأدب العربي ولاسيما القديم منه. إذ درس الشعراء وأشعارهم في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي. وهذا كلّه موجود في كتابه حديث الأربعاء، فدرس مثلا غزل عمر بن أبي ربيعة من منطلق تاريخي، وشك في وجود قيس بن الملوح وشعره تاريخيا، حتى تمخض بحثه عن رفض فكرة وجود هذا الشاعر من الأصل

ويبقى كتابه ((في الشعر الجاهلي)) مهما في هذا المجال فهو اعتمد على المنهج التاريخي في مساحات من الكتاب، بل كان هذا المنهج موجها لرؤيته في الدرس والنتائج التي توصل إليها، فأنكر وجود الشعر الجاهلي .